تطور مفهوم الجهاد في الفكر الإسلامي
(رؤية وفق السياق العولمي)

م. حُسام كصّاي م. صباح محمد صالح
جامعة تكريت
كلية العلوم السياسية

المقـــدمـــة

بينما مارس الدّين دوُراً كبيراً وهَاماً في حيّاة المُجتمْعات بشكل عام؛ كمقوم أول ورئيس في بناء وتشكيل الدولة والمجتمع وتنظيم الحياة العامة، وكبُعد من أبعاد السياسة[١] فقد ساعدت العولمة على أيقاظ الشعور الديني ومشاعر القومية الدينية والعرقية إما توافقاً أو تعارضاً مع التأثيرات الغربية التي تنشرها العولمة لجميع انحاء العالم[٢]، فيما تراجع دور الجماعات أمام هيمنة الفردانية، بحكم المنطق الليبرالي، حتى المسائل الدينية أصبحت ممارسات فردية نتيجة لمكتسبات العولمة والليبرالية لترقية الفرد فوق الجماعة، وبسبب الوفرة الدينية التي خلفها صعود الأصوليات الدينية في العالم وما نتج عنها من عنف وحروب مقدسة ارتبطت بمفهوم عالمي؛ كمفهوم الجهاد الذي أصبح قاسم مشترك بين جميع الأديان والأصوليات المنشقة عن عباءة الدين نفسه دون أن يكن حكراً على الإسلام لوحده، مثلما ليس التعصب إسلامي مُحض لوحده، وما أقره

١- جمال حمدان، العالم الإسلامي المعاصر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧١، ص٨٧.

٢- فيك جورج، بول ويليدنج، العولمة والرعاية الإنسانية، ترجمة: طلعت السروجي، القاهرة، سلسة المجلس الأعلى للثقافة "٧٨٣"، ٢٠٠٥، ص٣١.

بنجامين باربر في كتابة (عالم ماك)، لكن هذا لم يقنع الكثيرين من ربط الجهاد بالإسلام من منطلق أن الجهاد في الإسلام فرض من فروضه وواجب ديني على كل مسلم حالما تتوفر شروطه التي أقرتها الشريعة الإسلامية، ولأن القرآن حمال أوجه أولاً، ولأن مفهوم الجهاد بالأساس هو مفهوم متبدل ومتغير مع كل زمان ومكان ثانياً، ظهرت الإشكالية والجدل حول مفهوم الجهاد الإسلامي وآليات تطبيقه، وعلى من ينطبق، ومن هم الكُفار في زماننا، ثم مفهومي ديار الكفر والإيمان، فيما نسأل هنا: هل يجوز تحقيق الجهاد في ظل غياب السور والحارس المنيع "الدولة الإسلامية" بحكم المنطق العولمي القائم على نُظم سياسية وحكومات مدنية معاصرة، مع غياب النص الديني لنوع وشكل الحكم في الإسلام، وبروز جماعات اصولية دينية متشددة؛ كالسلفية الجهادية آخذة بحرفية النصوص والانزياح وراء تأويلاتها لُتشهر آيات السيف والقتال؛ كإعلان جهاد ضد عدو قريب وبعيد، اتضح ذلك في كتابات: صالح سرية (رسالة في الإيمان)، محمد عبد السلاح فرج (الفريضة الغائبة)، أيمن الظواهري (فرسان تحت راية النبي)، علاوة على مؤلف سيد قُطب (معالم في الطريق) الذي أصبح دستور الجماعات الإسلامية اليوم، وبروز تنظيم القاعدة والجماعات الإسلامية العنيفة بعد الجهاد الافغاني ضد السوفيات، ليتحول الجهاد في عصر بن لادن والقاعدة إلى "فرضَ عين" وليس فرضاً جماعياً (أي أن يقوم به الأفراد المعرَّضون للتهديد)[١] بينما أعطى محمد عبد السلام فرج (الذي أعتبر الجهاد فرضاً من فروض الإيمان الخمسة: الإيمان والصلاة والحج والزكاة والصوم)[٢] بُعداً عالمياً[٣] حتى بات الجهاد مثار جدل كبير بين أن يكون جهاداً حقيقياً من أجل نصرة دين الإسلام وبين أن يكون جهاداً أصولياً لا يُعرف منفعتهِ عن مفسدتهِ، خصوصاً إذا كانت العواقب أوخم!، من خلال النظرية البراغماتية التي تنظر للنتائج دون الشعارات والأهداف، ستوضع التنظيمات الإسلامية

١- أوليفييه روا، عولمة الإسلام، ترجمة: لارا معروف، بيروت، الساقي، ٢٠٠٣، ص١٠٥.

٢- المرّجع نفسه، ص٢٠-٢١.

٣- محمد عبد السلام فرج، الفريضة الغائبة، القاهرة ، ١٩٨١، ص١٢.

القتالية جميعاً وعلى شتى أصولياتها في محك البراغماتية، لاكتشاف مدى مشروعية وحقيقة الجهاد اليوم، وماهية مصداقيتهِ؟؟ خصوصاً إذا خلا الإسلام من أية نصوص معلنة لآيات السيف والقتال كما صورها عبد السلام فرج، فهو دين دفاعي لا هجومي، قائم على قاعدة (لا إكراه في الدين)، (ولا ضرر ولا ضرار)، هنا نسعى في هذه الدراسة إلى متابعة مفهوم الجهاد بين (النص والواقع)، القرآن والسُنة وبين الممارسة والتطبيق، والتحولات بين الإسلام والأصولية في ظل إطار العولمة الرأسمالية، والنتائج التي تمخضت عنها.

أولاً: المشكلة البحثية

تتحدد مشكلة الدراسة هنا حول جدل العلاقة بين الجهاد والعولمة الغربية، وحيث توجد هناك – على سبيل افتراض دراسة – علاقة بين صعوّد الجهاد بالطرح الحالي وبين العولمة الغربية، أو على الأقل بات الجهاد اليوم يتنقل داخل "فضاء سيبيري" لا يجد القدرة خارج هذا الفضاء بعد صعود موّجة الأصوليات الدينية.

ثانياً: سؤال الدراسة

هناك سؤال كبير تحاول الدراسة الإجابة عنهُ، وهو: ما هي علاقة الجهاد الإسلامي بالعولمة الغربية، إضافة لثمة أسئلة أخرى: كيف تطور مفهم الجهاد وما هي أبرز المنعطفات والمتغيرات التي مر بها وأسبابها، ما علاقة الجهاد بالقتال والموت؟ لماذا أختصر القرآن بآيات السيف والقتال، وما هي صيغة الجهاد اليوم بعد تحالف الأصولية الدينية بالعولمة الغربية؟

ثالثاً: منهجية البحث

نحاول أن نستدعي ثمة منهجية لموضوعة الجهاد وعلاقته بالعولمة الغربية، منها منهج تحليل الجماعة (مضمون الجماعة)، ومنهج اقتراب الثقافة السياسية الذي يدرس هويات وقيم الجماعات، إضافة لمنهج التحليل الوصفي باعتبار الدراسة عمل بحثي تجريدي.

وسَتُقسم الدراسة إلى ثمة محاور منها وفق سياقات علمية ومنهجية، وعلى النحو التالي:

المبحث الأول: الجهاد في الإسلام: النشأة والتطور

المطلب الأول: مفهوم الجهاد في الإسلام

المطلب الثاني: تطور مفهوم الجهاد في الإسلام

المطلب الثالث: الجهاد وآيات السيف والقتال

المبحث الثاني: جدل الأصولية الدينية والعولمة الغربية

المطلب الأول: الأصولية الإسلامية الراديكالية: السلفية الجهادية

المطلب الثاني: مقولة الجهاد الأصولي

المطلب الثالث: الجهاد الإسلامي والعولمة الغربية.

المبحث الأول

الجهاد في الإسلام .. النشأة والتطور

شكل الجهاد بؤرة الصراعات التي خاضها النبي محمد (ﷺ) في نشر الرسالة الإسلام وترسيخ قواعد الدولة ومرتكزاتها، والجهاد ينقسم إلى قسم في الإسلام، فرض عين وفرض كفاية، فرض العين واجب على كل مسلم ومسلم نفير عام، والثاني حسب الحاجة إليه [طوعي]، وطالما وجود جيش مقاتل وقوات متخصصة في حفظ الأمن والدفاع فالجهاد كفاية، لكن بقي تطبيق الجهاد في ضوء الواقع العملي، وكيف طبق، وهل طُبق على صواب، إن استعمالات الجهاد جاء متنوعة ومختلفة، قبل الإسلام تخُاض الحروب ضد بعضها البعض من أجل السيطرة على الخطوط التجارية للقوافل بالدرجة الأولى، إضافة لاستعماله في مواضع أخرى؛ كالأغارة والثأر وغيرهُ، فتتبلور هنا شكل العلاقة بين البواعث النفسية للجهاد والبواعث النفسية لأيام العرب[١] هذا يعني

١- د. هاشم صالح، معضلة الأصولية الإسلامية، ط٢، بيروت، دار الطليعة للنشر، ٢٠٠٨، ص١٢٢-١٢٣.

أن مفهوم الجهاد بالمعنى الإسلامي الكلاسيكي مفهوماً عابراً أو جاء عرضياً لمرحلة محددة النطاق أو محدود الصلاحية فهو أحد أهم قواعد الإسلام، ومن فروض ودعائم الدولة الإسلامية، وتحدد هذا المفهوم بالطبائع النفسية والسلوكية للفرد، ومُذاك الحين أصبح الجهاد مرتبط بالتفكير الفردي وبالوضع النفسي للفرّد، أما الإسلام فأعطاه بُعد جماعي أو صفة "جمعية" من أجل نشر كلمة الله، وتوحيده ربوبيتهِ، أي بقدوم الإسلام على العرب أصبح الجهاد فريضة لمن استطاع إليه سبيلاً، فما هو مفهوم الجهاد وما هي أبرز مراحل تطوره؟ سنحاول هنا التعريف بالجهاد في الإسلام وتطورهُ في سياق الواقع والرهانات.

المطلب الأول

مفهوم الجهاد في الإسلام

لفظة جهاد بكونها مشتقة من كلمة جهد وهو لفظ في اللغة الفرنسية يعطي دلالة على الجهد اللا إرادي واللا شعوري، و"بأنه الجهد العضلي الذي نحس به[١]، "يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله تعالى بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو المبالغة في ذلك"[٢] بينما يُميز "وليم جيمس" بين نوعين من الجهد: عضلي وعقلي، ومن هنا جاءت كلمة الجهاد التي تعني في الأصل الدعاء إلى الدين الحق، وهذا التعبير لا يقتصر على استخدام القوة والقتال سبيلاً إلى هذا الدعاء[٣]، عضلياً كان أم عقلياً، وتعني كلمة الجهاد بذّل أقصى الجهد لأمرٍ ما، وتختلف تماماً عن كلمة "القتال"

١- د. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، الباب جيم، ط٦، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥، ص٢٨٤.

٢- علاء الدين الكاساني، بدائل الصنائع في ترتيب الشرائع، الجزء السابع، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢، ص٩٧.

٣- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٤، ص١١٣.

التي تعني بالضرورة القتل والذبح وسفك الدماء[١] أي أن الجهاد هو مفهوم عام ينطوي على بذل الجهد على أي شيء دون أن يتحدد بحمل السلاح أو رفع السيف أو ممارسة القتل كمهنة، وهو تعريف عام وشائه غير محدد بالقتال ولا مقتصر عليه، وقد يكون القتال في جزء منه موجوداً وقائماً، لكن لا يمكن حصر القتل والذبح بمفهوم الجهاد قطعاً، وبالعكس أيض، لا يمكن بالوقت ذاته حصر مفهوم الجهاد واختصاره بالذبح والطعن والقتل وسفك الدماء وإباحة المحرم وتحريم المباح، فالجهاد في الإسلام المُبكر صيغ من أجل ظروف مرت بها بدايات نشر الدعوة الإسلامية ونشوء الدولة الإسلامية الفتية، أما "الجهاد المتأخر" أو الجهاد في الإسلام السياسي فهو الأخر لهُ ظروفه الخاصة وشروطه الملمة بهِ.

الملاحظة المهمة هنا ستُنهي نصف مهمة الجهاد حينما لا يُعارض طريق نشر الدعوة دبلوماسياً أو بالطرق السلمية، ويبقى النصف أو الشق الثاني مُرتهن بمدى رّد الأذى ودفع المخاطر دفاعاً وليس هجوماً، مع الأخذ بنظر الاعتبار العواقب والنتائج المترتبة عن إعلان الجهاد، والتآسي بقاعدة الرسول (ﷺ): (لا ضرر ولا ضرار)، فليس في الإسلام جهاد هجومي كما يتصوره سيّد قُطب ومحمد عبد السلام فرج والظواهري وسرّية وغيرهم، فمن المؤكد أن الإسلام بعظمته لم ينطق النْص ليتركه يواجه عقول العرب والمسلمين بهذه السذاجة دون توجيه، وإنما جاءت آيات الجهاد من أجل ثمة محددات وقضايا معينة[٢] وما خلا ذلك يندرج ضمن الفتنة والإرهاب والطائفية، فالحدّاثة أثرت في الجهاد الأصولي – الحديث الذي سنترك للصفحات اللاحقة نصيباً

١- إبراهيم نافع، جنون الخطر الأخضر وحملة تشوّيه الإسلام، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ٢٠٠٤، ص٩٢.

٢- والمتتبع لآيات الجهاد القرآنية في الإسلام يجدها مقاربة للأديان السماوية الأخرى وقريبة جدا من القوانين الوضعية المعاصرة لهيئة الأمم المتحدة ومنظماتها وفروعها الداعية لحقوق الإنسان ونشر ثقافة التسامح؛ فكلها علاوة على الإسلام يدعون إلى الدفاع عن النفس ورد الاذى وهو ما تحدث عنه الإسلام قبل منظمات حقوق الإنسان أو هيئات الأمم المتحدة.

من القراءة والنقد والتحليل –، حتى بات الجهاد اليوم إزاء انواع متعددة من الجهاد وليس جهاداً واحداً وثابتاً يكتسي صفة الجمود، الأمر الذي جعل الحديث عن الجهاد في الإسلام ضرورة بالغة لمعرفة ماهيتهُ، وعلى من ينطبق وشروطه، وكيف يكون، تجاوزاً لتصورات "النظرية البراغماتية" النفعية (الأمريكية) بما هي عملية مشاهدة وملاحظة للنتائج التي خلفتها ظاهرة الجهاد بغض النظر لأسبابها واهدافها والشعارات التي رفعتها وفق منظور أمريكي نفعي بحت، وهذا يعطي انطباع حسن أحياناً للبراغماتية رغم مساوئها فهي – ليس في موضوع الجهاد فحسب، بل لكل القضايا التي تعترض مسيرة النهضة العربية وتعرقل مسار الفكر السياسي العربي والإسلامي المعاصر –، فهي تمتاز بتقديم المنافع والمصالح عبر تحسين الخيارات وترشيد السُنن والنوازل لصالحها أولاً، ولأنها تنظر للنتائج دون الأهداف والشعارات، وهذا يُعد قتلاً مُباحاً للنرجسية المُفرطة التي يتميز بها العقل العربي المُسلم، والتي شكلت عائق معرفي أمام الدراسات التي يُقدمها لمعالجة القضايا المعاصرة التي تحتاج للمنهجية والبحث العلمي الحيادي والرصين.

والحقيقة الثابتة إن الإسلام جاء بالجهاد كفريضة دينية، لتحقيق غايتين لا ثالث لها ألا وهي: الأولى: ردّ الأذى والدفاع عن النفس، والثانية: هي حينما يُصار حيف على الدعوة الدينية أو تعذر نشرها بالتي هي أحسن "دبلوماسية إسلامية" أو بالطرق السلمية المُتاحة والمُعتادة، إذ لا بد أن يرتبط مفهوم الجهاد بوجود قوة معادية "صادة" لنشر مبدأ التوحيد وتعميمه على البشرية[١] أي أن الجهاد مرتبط بقوة ممانعة[٢] وما يُحاول التشويش عليه بخصوص الجهاد في الإسلام هو تغافل أن الجهاد في سبيل الله على

١– محمود محمد أحمد، تطور مفهوم الجهاد دراسة في الفكر الإسلامي، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٥، ص٤٧.

٢– لم تعد هناك موانع أمام نشر الدعوة الإسلامية وبات نشر الدين الإسلامي أكثر حضواً وسرعة ودقة من قبل بفضل هذه العولمة التي يعاديها المسلمين والتي ساعدتهم على استقطاب الشُبان، فشبكة الانترنت والاتصالات والمعلوماتية شجعت الكثير إلى دخول الإسلام بدون قتال.

جبهتين، الأولى: موجهة إلى الداخل، والثانية: موجهة إلى الخارج، الأولى هي عملية إيصال الإنسان إلى ذاته وربه وهذه هو الجهاد الأكبر، والثانية هي عملية إيصال الآخرين إلى ذواتهم وربهم[١]، فهو في الإسلام مجرد عملية نصح وتناصح وتوجيه، من منطلق أن الدين النصيحة، ولا إكراه فيه؛ لأن لا أحد مسيطر على أحد أو ولست عليهم بمسيطر، ولكل منا دينه.

فالجهاد في سبيل الله الوارد في القرآن الكريم ما هو إلا إفراغ "الوسع" و"الطاقة" مع تحمل "المشاق" من أجل إعلاء كلمة "التوحيد"، لله وحدهُ، وهو أمر لا يختلف غالبية المسلمين إن لم نقل جميعهم[٢]، و"المجاهد في سبيل الله" هو الذي يتحمل كل الأذى والمتاعب والمشاق من أجل ذلك[٣] وبذّل وسعه في المدافعة والمغالبة[٤]، وهذا يعطي دلالة ومعنى روحي للجهاد يتجاوز قيم التسويق الديني، والترويج، والدعاية، ومؤثرات العولمة والفردانية الدينية وحزمة السياقات التي يحاول من خلالها استثمار الجهاد في مشاريع سياسية ودنيوية مُحضة، ونفياً لذلك، ويتبلور رأي الإسلاميين المتطرّفين والجماعات المتشددة في الجهاد في الإسلام بكونهُ التزاماً دينياً ثابتاً يوجب على المسلمين النضال دائماً وأبداً من أجل العمل على توسيع نطاق العقيدة[٥] أي بمعنى إنْ الراديكالية الإسلامية استعملت الغاية الثانية (نشر الدعوة الإسلامية) في تبرير حربها وإرهابها على العالم أجمع، كما لا يمكن حمل كل آيات الجهاد محل الموت والقتال، أو

١- محمد فتح الله كولن، روح الجهاد وحقيقتهُ في الإسلام، ترجمة: احسان قاسم الصالحي، ط٥، القاهرة، دار النيل، ٢٠٠٨، ص٢١.

٢- بالتالي هنا لا نجد هناك أية مُبرر لقتال المسلمين لبعضهم، تحت عناوين الحروب الأهلية، والنزاعات الطائفية والعرقية.

٣- محمود محمد أحمد، مرّجع سابق، ص٣٦.

٤- حُسني أدهم جرار، الجهاد الإسلامي المعاصر: فقهه، حركاته، أعلامه، عمان، دار البشير للنشر، ١٩٩٤، ص١١.

٥- جراهام إي. فوللر، وإيان أو. ليسر، الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة، القاهرة، مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٧، ص١١٦.

النظر إليها في سياقها العسكري المحض، فهذا السلوك فيه مظلومية للإسلام وتشويهاً لمفهوم الجهاد نفسه، إذ من الصعوبة البالغة حمل كل آيات الجهاد محمل القتال، فالجهاد مفهوماً متطوراً مع الزمن، ولا ضير أن يستعمل يوماً كأداة للردع فقط ضمن إطارهُ الإسلامي الحقيقي.

المطلب الثاني

الجهاد وآيات السيف والقتال

ميزة الجهاد أنهُ مفهوم منْوع ومُختلف ومتباين من مجتمع لأخر، ومن عصر لأخر، بل حتى من دين لأخر، ومن أصولية لأخرى، يتحكم بمفاصلهِ الواقع لا هو الذي يفرض قواعدهُ، ويكون أكثر ارتباطاً بالطبائع، الوقائع والعقائد بشكل حتمي، فمثلاً تعني كلمة الجهاد في الفكر المسيحي بأنها "الحروب الصليبية" المُقدّسة والفكر الصهيوني "واجبٌ إلهي مُقدس" في الفكر الإسلامي فريضة دينية غائبة، وفي الفكر الطائفي "الحرب الأهلية" المُقدّسة، والجميع هنا يتصورنها "حربٌ عادلة" بالنسبة لهم، حتى الجهاد في الفكر الإسلامي هو مختلف ومتنوع ومتباين من عصر لأخر، ومن بيئة لأخرى، ومن ظرف لأخر وهو تأكيد عن تطور مفهوم الجهاد وعدم حصره بمرحلة بواكير الإسلام وعزلهُ عن الواقع ونوازلهُ ومستجداته، القداسة متاحة في جميع الأصوليات، وبضوابط وشروط عولمية.

وتلك إشارة واضحة إلى إن مفهوم الجهّاد ظل وسيبقى مختلفاً ومتبدلاً، لا يمكن حصره في خانة أو اختصاره في دين أو مذهب، ولا يمكن اعتبار كل فعل عسكري متشح بالدين هو فعل إسلامي بحت، ولا يمكن اعتبار أي عملية إرهابية أو هجوم مسلح بأنه نتاج فعل للإسلام، فالجهاد مفهوم قديم وجديد، منوع ومتعدد، لا يمكن فهمه بدون العودة إلى أصوله في إلهيات الكتب للأديان السماوية، وبما إننا ندرس حالة الإسلام أو الأصولية الإسلامية فسوف نفتح صفحات الحديث عن الجهاد في الإسلام

ومن ثم الجهاد عند الأصولية الإسلامية، ومحاولة تقديم مقاربة فكرية وقراءة منهجية وتفكير علمي لمفهوم الجهاد.

الأصولية الإسلامية حولت مفهوم الجهاد إلى مفهوم جهادية وهو تعبير إيديولوجي ذا صبغة أو نزعة سياسية، تهدف إلى الصراع على السلطة بأشكال لاهوتية، وبالتالي فقد تطور مفهوم الجهاد على يد تلك الجماعات، وحتى مفهوم العدو المرتبط بالجهاد، اجتز لعدّوين: عدو قريب، عدو بعيد[١]، سنأتي تفصيلها لاحقاً.

يعرف السيف بكونهُ نوع من الأسلحة المعروفة التي تستخدم للقتال والنزّال، أي هي سلاح من الفولاذ أو نحوه ذو نصل طويل حادّ يضرب به باليد؛ فورد في حديث النبي (ﷺ):"أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ"[٢] وهو المعنى الذي يحاول الجمْع أو "البعض الإسلامي" من تحديد إزاءه آيات السيف الواردة في القرآن الكريم، فهل هي بالفعل آيات سيف أم أنه مُجرد اجتهاد بشري أختلف عليه البعض واتفق البعض الأخر، أم أن مقصد الرسول (ﷺ) كان على غير ما ينحو الإسلاميون إليه اليوم، وأن آية السيف الواردة في القرآن هي الآية الخامسة من سورة التوبة: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] لكن الإسلام لم يدعو إلى قتال ولا إلى فتنة ولا إلى حرب ضارية ولا إلى معارك طاحنة ولا إلى حروب أهلية طائفية بين الأهل والعَمْام بعضهم بعضا، كان على طول المسيرة ديناً للسلم إلا في حالات معينة أوضحناها أنفاً، فلا يمكن منطقياً حذف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على الدفاع عن النفس والدين والوطن وغرس فيهم الاستعداد لبذل النفس

١- راجع: محمد عبد السلام فرج، الفريضة الغائبة، وأيمن الظواهري، فرسان تحت راية النبي.

٢- صحيح البخاري، [٣٢٨٢].

٣- سورة التوبة، (٥) .

ضد من يعتدى عليهم[١] بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٢] وهو ما ينفي الحاجة لآيات السيف اليوم واستعمالها كتأويل وتفسير في غير موضعها التي لم تعد إلا تأويلاً لتنزيل وليس العكس، تنزيلاً لتأويل، أي إنْ كلمة السّيف هي ليست القتال والحرب بالنظرة التعميمية المطلقة التي مارستها الأصوليات الدينية في العالم الإسلامي، وإنما لها شروطها وضوابطها ويستحيل أن تُستعمل آيات السيف على أياً من العرب والمسلمين مثلما تفعل الجماعات الراديكالية المتشددة اليوم، فالإسلام لا يؤمن بالنظرية المطلقة وإنما بنسبية الإسلام الذي يتعامل مع كل حالة على حده دون تعميم الظواهر أو إطلاقها، مع مراعاة الأزمنة والعصور والظروف والنوازل والمستجدات، وتحديد مفهوم المسلم والكافر، والكافر نفسه قد لا يكون غازياً، هذا الخلط عند الأصولية ساءت استعمال النص لدرجة أن السلفية الجهادية حللت قتل المسلمين في كل أصقاع الأرض وتجاوزت قتل وتكفير الكافر الحقيقي الغاصب لأرضنا المحتلة في فلسطين، فهدمت مساجد وأثار الموصل التاريخية كالنبي يونس، والنوري، ولم تضع تحرير مسجد القُدس الأسير في حسابتها وهذا هو فهم الأصولية للجهاد اليوم، فداعش والجماعات الإرهابية استعملت مفهوم الجهاد خارج أصوله وضوابطه تبعاً لإيديولوجيات معينة، وهي بذا خلطت بين الجهاد والقتال والإرهاب أو ما أصطلح عليه في القرآن الكريم مفهوم "الحرابة" والخلط بين القتال ضد العدو وبين القتل الذي نهى عنهُ القرآن، ففسرت الجهاد على أنهُ غزوٍ[٣] فالجهاد بالأصل هو لقتال الكفار[٤]، لكن من هم الكفار اليوم، المشكلة الكبرى هي تأويل النص في قالب إيديولوجي معين، ما تُعرف بـ "السلفية الجهادية"

١- د. محمد شامه، لا لتطوير الخطاب الديني، القاهرة، وهبة للنشر، ٢٠٠٥، ص١٥.

٢- سورة البقرة، (١٩٤) .

٣- صابر مولاي عبد الصمد، "مفهوم الجهاد في القرآن الكريم"، في: الجهاد، الشهادة، الشهيد، ملف بحثي، المغرب، مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٥/١١/١٤، ص٥٩.

٤- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج٦، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٩، ص٢.

فسرت الكفار على أنهم نوعين، عدو قريب وأخر بعيد، والنتيجة حللت قتل الأثنين ومحاربتهم وهذا هو الإشكال الأكبر الذي يواجه المسلمين في كل مكان أنهم أصبحوا كفار وأعداء في نظر السلفية الجهادية.

المطلب الثالث

تطور مفهوم الجهاد في الإسلام

جاء القرآن بآيات بينات حول مفهوم الجهاد أو ما يطلق عليها اليوم في أدبيات الأصولية الجهادية بـ "آيات السيف والقتال"، حيث ذكر القران الآية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[١] وزخم كثير من دعوات المجاهدة في سبيل الله، وقد شكل مفهوم الجهاد ترابط علائقي بمفاهيم مرتبطة أخرى حقلاً دلالي متمايز في المنظومة القرآنية[٢] ولم يتجاوز مسألة الواقع، ونزولاً لرغبة لهذا الواقع جاء مفهوم الجهاد مفتوحاً وقابلاً للتطور تبعاً للمستجدات والنوازل؛ لأنه بالأساس جيء به من أجل ظروف خاصة ومُهمة شرعية معينة، الإسلام لم يتلفظ بالجهاد بعمومية بل وضح الصورة وحددها بضوابط وشروط؛ لأن الجهاد ليس بالمسألة الاعتيادية كونها تتعلق بأهم ما اعتنى به القرآن الكريم وهو الإنسان محور الشريعة الإسلامية، وغياب هذا الإنسان الصالح والمُتعلم يُنتفى الحاجة للشريعة الإسلامية أو بالأحرى يتعذر نشرها، ولهذا جاء الجهاد تبعاً للحاجات وليس كنص ثابت ومجرد غير قابل للتأويل كما تتعامل معه الأصولية الرّاديكالية والسلفية الصاعدة، ثم أن الجهاد مختلف من مكان إلى أخر، ومن زمان إلى أخر، ومتباين بالمرّة فالجهاد في فلسطين لا ينطبق على حالة ليبيا أو اليمن، والجهاد في افغانستان لا ينسحب على الهند، ولأن الدولة الإسلامية الشاملة للعالم غائبة ولا وجود ملموس لها (دولة إسلامية افتراضية) "يوتيوبيا"، كذلك غياب الإجماع في الإسلام، فليس من اللازم الحديث عن جهاد شامل أو عام بصورة تعميم وشمول مثلما

١- سورة البقرة، ٢١٦.

٢- محمود محمد أحمد، مرجع سابق، ص٣٠-٣١.

هو عليه اليوم، العولمة هنا تحاول تصدير الجهاد على أنهُ واحد ينطبق بصورة تعميمية على كل العالم، واختصرت كلمة الجهاد بالقتال وسفك الدماء فقط فنجد أنفسنا أمام ظاهرة اختزال لمفهوم الجهاد حيث سرعان ما انتقل من التصور القرآني الخالص إلى أولى مراحل تاريخ الفكر الإسلامي، في شيء واحد وهو "القتال"[١] وتحوّيل هذا السياق سبقهُ اختلاف الجهاد (القتال) في مرحلتي نزول القرآن بين المكية والمدنية، فالقتال كان محظوراً على المسلمين قبل الهجرة بالآيات[٢]: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣]، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾[٤]، ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[٥]، ولما هاجر النبي إلى المدينة وتحصن بها نزلت الآية: ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٦] ولما قويت شوكة المسلمين نزلت الآية: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾[٧]، وهذه دلالة كافية إلى اختلاف مفهوم الجهاد وتطوره، وعدم استمراريتهُ على نسقٍ واحد وتراتبية ثابتة، فهو لصيق بتغير الواقع ومستجيب لرهاناته والظروف التي ترافق إطراق مفهوم الجهاد مع تقييم الحالة والنتائج والضرر الذي سيرافق أي تطبيقات لمنهج الجهاد، ولا مانع من وقف الجهاد بالمعنى العسكري، بل واجب الإسلام أن يتوقف الجهاد في حال انتفاء شروطه الذي جاء من أجلها واستمرار الجهاد في غير موضعهُ وشروطهُ قاد بنا إلى هذه الحالة المزرية من الشتات والفوضى العارمة التي اعتاشت على رصيد الأمة الحضاري، لاقا الإسلام الأذى من أبنائه قبل وأشد من أعداءه.

١- المرجع نفسه، ص٣٦.

٢- راجع: المستشار محمد سعيد العشماوي، أصول الشريعة، بيروت، الانتشار العربي، ٢٠٠٤، ص٩٦.

٣- سورة فصلت، (٣٤).

٤- سورة المائدة، (١٣).

٥- سورة الغاشية، (٢٢).

٦- سورة البقرة، (١٩٠).

٧- سورة التوبة، (٣٦).

أما القتال المشروع؛ كجهاد هو أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا ومن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين[١] وكثيراً ما استعمل الجهاد منذ بعثة النبي (ﷺ) في معظم التاريخ الإسلامي المدّون بالمعنى العسكري[٢] فيما أن الجهاد فرض يتسع مداه ويختلف بحسب الظروف والملابسات، وهو فرض تختلف صوره باختلاف الحاجة إليه في السلم والحرب[٣] فهو ليس مجرد سيفٌ يُشهر أو حرب تُعلن أو موقعة تدار[٤] فالمجاهدة تتم في المنظور الديني للإسلام حسب ظروفها ومعطياتها، وهو في حالة السلم استعداد لا يفتر، استعداد معنوي يُقوَّى الإيمان ويثبت الاعتماد على الله[٥] ولا ولا يُختصر مفهوم الجهاد في الإسلام بالقتال والحروب أبداً فالجهاد ثانوي على الحرب ولهذا سُمي بـ "الجهاد الأصغر"، واعتبر إصلاح النفس وترميم الذات وفطم النفس عن الدنايا هو الجهاد الأكبر في الإسلام، يُضاف إلى مرونة المفهوم إساءة التأويل واعتماد تفسيرات الموتى للأحياء، ولأن القرآن حمال أوجه، فالجهاد أصبح يحمل معانٍ عديدة علاوة على التي ذكرناها، صار يعطي دلالات ذات بعد سياسي محض ومنحى غير ديني، وذلك تمت الجناية عليه باسم الأصولية الإسلامية الرّاديكالية والفقه السلفي الصاعد (الأصولية السلفية الجهادية) والمعروف بغلاظتهِ وتمسكهُ بحرفية النص.

١- ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: علي بن محمد العمران، الرياض، دار الفوائد، د. ت، ص١٥٨.

٢- برنارد لويس، أزمة الإسلام: الحرب الأقدس والإرهاب المدنس، ترجمة: حازم مالك محسن، دمشق، صفحات للنشر، ٢٠١٣، ص٦٤.

٣- عبد الحليم محمود، الجهاد في الإسلام، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٨، ص١٥.

٤- المستشار محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، ط٥، بيروت، دار الانتشار العربي، ٢٠٠٤، ٢٠٠٤، ص١٧٩.

٥- عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٥.

المبحث الثاني

جدل الأصولية الدينية والعولمة الغربية

المطلب الأول

الأصولية الإسلامية الراديكالية: السلفية الجهادية

طرح مفهوم الجهاد نفسه بقوه وإلحاح شديدين على الباحثين والأكاديميين – والمستشرقين منهم – بعد موّجة صعود الحركات الأصولية المُتشدّدة على مسرح التاريخ منذ أكثر من ربع قرن وحتى اللحظة[١] لدرجة أصبح الجهاد معوّل الأصوليات الدينية، ولا يقتصر على الأصولية الإسلامية دون المسيحية أو اليهودية، كُل الأصوليات مرتبطة بمفهوم الجهاد وضالعة بالعنف الذي يُثري العالم بالدمار، حتى احتلال فلسطين يندرج ضمن صعود الأصوليات الدينية اليهودية المتشددة، وهو ما دفعنا لنتساءل حول موضوعة الجهاد، هل الجهاد بهذا الفهم هو مشابه لمفهوم الجهاد في عهد النبي محمد (ﷺ)، وما فرقهُ عن الجهاد في الإسلام (أو فقه الإسلام المُبكر)، فيما اذا كان يحمل مفهوم الجهاد في فقه الأصولية نفس ما يُشار إليه في الإسلام، خصوصاً ونحن سلمنا بادئ الأمر إن الإسلام ليس الأصولية، والأصولية لا تعني حتى جزء متواضعاً منه، فمُصطلح الأصولية لفظ مشتق لغوياً من كلمة "أصول" وهو ترجمة للفظ الإنجليزي (Fundamentalism) وهو مشتق من لفظ آخر وهو (ion Fundament) بمعنى أساس[٢] وتُشير كلمة كمفهوم ورد في قاموس المورد على انها "العصمة" ببروتستانيتها، بينما يعرفها قاموس أكسفورد على إنها "حركة أرثوذوكسية تقليدية تقوم على مفهوم

١– د. هاشم صالح، مرجع سابق، ص١٢١.

٢– د. مراد وهبة، الأصولية والعلمانية، سلسلة قضايا الفكر(١)، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩٥، ص٢٢.

مضّاد لليبرالية"[١]، وتقوم على معتقد ديني أو سياسي مع الشكل الثقافي أو المؤسسي الذي تمكنت من ارتدائه في عهد سابق من تاريخها، وتعتقد إنها تمتلك حقيقة مطلقة وأنها تفرضها[٢] بينما يقترب به "ريتشارد ديكمجيان" إلى الإسلام وإلى البحث عن أصول العقيدة وعن أسس الدولة الإسلامية وقواعد نظام الحكم الشرعي، وهذا التركيب يؤكد على البعد السياسي للحركة الإسلامية أكثر من جانبها الدينْي[٣] والتي بدأت كحركة إصلاحية[٤]، فيما أصبحت كلمة أصولية صنواً للإسلام في الغرب[٥] وعلامة فارقة لكل من يقول: الله أكبر[٦] والغرب نفسه من دأب على إطلاق حزمة مسميات (الإسلام المسلح، الاصولية الإسلامية، الإرهاب) وربطها بالإسلام[٧] واختصار كل أفعال الأصوليات الدينية العدوانية بهِ، رغم أن الأصولية تحمل معنى دلالي بخصوص صنف معين من البروتستانت المقاتلين[٨] إلا أن الأصولية نفسها تشير لكونها مفهوم واصطلاح واصطلاح مستعار من البروتستانتية الأمريكية لوصف الظاهرة على "أن الجماعات

1- The Shorter Oxford English Dictionary , Oxford, Claredon Press. 1955, p.818.

٢- روجيه غارودي، الاصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، تعريب: خليل أحمد خليل، باريس، دار عام الفين، ٢٠٠٠، ص١١.

٣- ريتشارد هرير ديكجميان، الأصولية في العالم العربي، تعريب: عبد الوارث سعيد، القاهرة، دار الوفاء للنشر، ١٩٨٩، ص٢١.

٤- مجموعة مؤلفين، مستقبل الإسلام السياسي: وجهات نظر أمريكية، إعداد: د. أحمد يوسف، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١، ص٦٥.

٥- انجمار كارلسون، الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة، ترجمة: سمير بوتاني، القاهرة، الشروق الدولية، ٢٠٠٣، ص٥٢.

٦- المرجع نفسه، ص٥٣.

٧- جون ل. إسبوسيتو، التهديد الإسلامي: أسطورة أم حقيقة، القاهرة، مركز المعلومات والدراسات، ١٩٩٥، ص٢٧٦.

٨- جورج م. مارسدن، كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والايفانجلكية، ترجمة: نشأت جعفر، ط٣، القاهرة، الشروق الدولية للنشر، ٢٠٠٤، ص١٥.

الإسلامية تشكل خطراً داهماً" وترى قله منهم النظر إلى الإسلام بأنه "خطر أخضر" كبديل مُحتمل ذاتي التدمير للتنافس بين الشرق والغرب[١] غالباً ما تكون السلفية الجهادية هي المقصودة من تصور الغرب، أو قد تكون هي بالفعل في غالبية التصور الأصولي الإسلامي التي أخذت بمفهوم الجهاد إلى مسارات بعيدة عن الإسلام انحرافات خطيرة على الإسلام نفسه قبل غيره تعويلاً على آيات السيف والقتال.

المطلب الثاني

مقولة الجهاد الأصولي

تتخذ مقولة الجهاد في النص القرآني ثلاث دلالات ثابتة ومعينة ودقيقة لا تقبل الحذف أو الإضافة[٢] وهذه الدلالات والاعتبارات، هي[٣]:

١. الهجرة (من دار الظلم إلى دار العدل).
٢. القتال (الدفاع عن النفس والأرض).
٣. تحفيز الأمة على التيّقظ للخطر والتحسب للعدو وليس العدوان عليه.

في حين إنها في التفسير الأصولي أو من خلال المنظور "الثيوقرّاطي" التأصيلي فمقولة الجهاد تحمل نفس الدلالات لكن التطبيق مختلف تماماً عن النظرية على أقل تقدير، أي أن مقولة الجهّاد أخذت منحى أبعد عن تصور الإسلام، وأقرب للتصور الكنْسي البابوي ذلك لرفض الأصوليين النّصيين للواقع بكل تقاسيمه ومعطياته، وبالتالي تعرض مفهوم الجهاد للتشوّية والتحريف والتخريف وإخراجه عن النسق العام الذي جيء

١- صموئيل هنتنغتون، الإسلام والغرب: أفاق الصدام، ترجمة: مجدي شرشر، القاهرة، مدبولي، ١٩٩٥، ص٧١.

٢- رغم أنهُ مفهوم متطور ومُتبدل كسياق تعامل، إلا أنهُ ثابت كنصوص دينية مُقدسة تقبل التأويل والتفسير مراعاةً للواقع.

٣- نقلاً عن: د. السيد ولد أباه، عالم ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الإشكاليات الفكرية والاستراتيجية، بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٤، ص١٤٢.

به؛ كنص ديني مُقدّس يقبل التأويل ولا يقبل التحريف، والبعض من قادة الأصوليات يرفضون كلمة "الدفاع" ويتهّجْمون عليها كما أشرنا لذلك، محمد عبد السلام فرج يقول في كتابه الركيك "الجهاد: الفريضة الغائبة": "من قال أن الجهّاد في الإسلام للدفاع وإن الإسلام لم ينشر بالسيف وهذا قول باطل"[١] وأن الجهاد "هو السبيل الوحيد لعودة ورفع صرح الإسلام من جديد"[٢] وبهذا فهو يُفكك الخطاب القرآني ويجعل من القرآن دين هجومي لا دين دفاعي، مع أن الإسلام أكثر من يقدم مقاربات وتصورات للتسامح ودفع الأذى وعدم الإساءة للأخرين إلا بالكلمة الطيبة: لقوله تعالى (عز وجل): ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣]، فالقرآن لم يدعو الناس لحمل السلاح في نشر دعوته، بل جعل الكلمة الطيبة هي الراية التي ترفرف فوق جحافل الدعوة الإسلامية، وليس السيّف كما يدعي ذلك فرج أو قُطب أو الظواهري من سار على نهجهم، لقوله تعالى (عز وجل): ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٤] لكن مروّجي آيات السيف كان لهم رأياً أخر – أو على الأقل فهم يقدمون تفسيراً جديداً ومغايراً لفهم الإسلام، بالتالي فالجهاد هو المرتكز الذي تقوم عليه كُل الأصولية الدينية والبؤرة التي تقوم عليها، فيما يبقى الجهّاد دائم وقائم – وفق النظرية الأصولية الرّاديكالية على لسان منظرّها وناقلها ومُعربها سيّد قطب – لا ينقطع أبداً لتحقيق كلمة الله في الأرض، أي لتحقيق النظام الصالح للبشرية[٥] وهو بمثابة صرّخة قوية بوجه الجميع على لسان كافة الأصوليات الإسلامية بعناوينها وانواعها وقسماتها بأن لا سلام وأمان ولا سكينة ولا راحه ولا استقرار بدون أنْ تحكم الأصولية العالم، ليس العالم العربي أو الإسلامي،

١– محمد عبد السلام فرج، مرجع سابق، ص١٥.

٢– المرجع نفسه، ص٦.

٣– سورة المائدة، (١٢٥).

٤– سورة يونس، (٩٩).

٥– د. سيّد قطب، السلام العالمي والإسلام، ط١٤، القاهرة، دار الشروق للنشر، ٢٠٠٦، ص١٥٥–١٥٦.

وإنما الهيمنة على العالم كله وهذا ضرب من الوّهم المتجذرة في البيئات الخيالية عبر الانترنت وصناعة الأوهام، فيما نجد المقابل هناك نسق مشابه من أصوليات دينية مسيحية ويهودية ترفع نفس الشعار، وتنحو نفس الأهداف، مثل كريستول، هنتنغتون، برنارد لويس، وكذلك الرئيس الأمريكي جورج بوش ومحافظيه الجُدد، وتوني بلير، مادلين ألبرايت، وعضو مجلس النواب الأمريكي بيتر كينغ، وألين كيست، وميشيل باكمان الميالين للعنف الأصولي والتطرف الديني ضد العرب والمسلمين، والذين يظهرون عدائهم وإعطاء معلومات مضللة عن الإسلام والمسلمين[١]، وهو إيذاناً بأننا مُقبلين على حرب دامية باسم الدين والتدّين تتنبها الاصوليات الدينية نيابة عن الدين أو توظيفاً لهُ، أسمها الجهاد أو الحروب المقدسة باعتبارها مفروضة من الله[٢] على البشرية أجمع، أي أن الله قد أرشد الأمة الأمريكية ووجهها إلى خوض تلك الحرب[٣] ودلالاتها السياسية واضحة في خطابات جورج بوش (الابن) ضد المسلمين فاحتلال افغانستان كان أول حرب مقدسة [صليبية] ضد الإسلام[٤] ورد "تنظيم القاعدة" وحركة طالبان و"الأفغان العرب" على الغزو الأمريكي مقدسٌ هو الأخر باعتباره رد واجب ديني.

المطلب الثالث

الجهاد الإسلامي والعولمة الغربية

سيتحدد تاريخ الجهاد الإسلامي أو "النيو جهاد" في نقطة تاريخية معاصرة لربما

١- وجاهة علي إيلي وآخرون، التخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا): جذور شبكة التخوف من الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية، واشنطن، المركز التقدمي الأمريكي، ٢٠١١، ص٤.

٢- برنارد لويس، لغة الإسلام السياسي، ترجمة: عبد الكريم محفوض، تقديم: د. طيب تيزيني، دمشق، دار جفرا للنشر، ٢٠٠١، ص١٢١.

٣- كارن آرمسترونغ، حقول الدّم: الدين وتاريخ العنف، مترجمة: فاطمة نصر، القاهرة، دار سطور للنشر، ٢٠١٦، ص٥٩٩.

٤- المرجع نفسه، ٥٩٥.

تتجاوز الفهم العام لتاريخانية الجهاد في الإسلام، – ونقصد منهُ الجهاد الرسولي، الفتوحات الإسلامية زمن الصحابة التي امتد حتى ضياع الأندلس وهزيمة العرب والمسلمين ١٤٩٢ –، أي بمعنى ليس بالضرورة أن يكون الجهاد اليوم مرتبط بصلة وثيقة بالجهاد في زمن الإسلام المبكر، هذا ما سنلاحظهُ في طيّات البحث، من خلال الإطلالة على حقيقة مفهوم الجهاد في الإسلام وشروطه وأهدافه، عبر متابعة التطورات الدينية والسياسية والفكرية من صعود نماذج من أصوليات دينية محضّة، بروز قوة العولمة داعمة لهيمنة غربية بحتة، غلق باب الاجتهاد، احتكار النص الديني، اعتماد تفسيرات الموتى، التمسك بتراثٌ مبتسر أو مستورد؛ كمفاهيم ديار الكفر وديار الإيمان، الحاكمية، الولاء والبراء، ستكون الأصولية أنجع ثمرات العولمة، والإسلاميون الرّاديكاليون لا وزن لهم بدون وفرة العولمة وتقنياتها، وإن هؤلاء المناضلين المتورّطين في شبكات متّهمة بالإرهاب ليسوا إلا ثماراً مثالية للتغريب والعولمة[١] وليس ثماراً للتراث والعودة للسلف الصالح كما تشير أسماءهم وعناوينهم، كما إن الإرهاب هو وليد السبعينات وليس بالضرورة أن يكون ابتكاراً إسلامياً[٢]، سيكون الجهاد اليوم نتاج للمزواجة عبر ثقافة التهّجين والدمج بين قيم العولمة الرأسمالية والأصولية الدينية، وهنا ستحدد تاريخ الجهاد المتعولم الذي بدأ مع بداية الجهاد الأفغاني ضد الجيش الأحمر (السوفيات) الذي حظي بدعم كامل C.I.A[٣] مما يستحيل علينا تخيّل الجهاد اليوم في افغانستان أو غيرها من دول العالم العربي والإسلامي جهاداً حقيقياً، وإنما قد تكون "مقاومة وطنية"، ما خلا حالة فلسطين ضد الكيان الصهيوني فهي برأينا أعلى مراتب

١– أوليفييه روا، عَولمة الإسلام، مرّجع سابق، ص٢٠٩.

٢– أوليفييه روا، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة: نصير مروّة، ط٢، بيروت، دار الساقي، ٢٠١٦، ص١٥.

٣– جيل كيبيل، الفتنة حُروب في ديار المسلمين، ترجمة: نزار أورفلي، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٤، ص٦٤.

الجهاد، وبالتالي يستحيل تخيّل ذلك الجهاد بدون دور فاعل للعولمة الرأسمالية، ومن ثم يصعب علينا الثقة به كجهاد في سبيل الله.

فيما يعتقد بنجامين باربر[١] وجود صراع كوني بين قوى "الجهاد" وبين الثقافة الرأسمالية الكونية الغربية، فيما يقصد من الجهاد مجمل القوى المضادة للحداثة وهي الأصوليات الدينية وفي طليعتها الأصولية الإسلامية، وأن الأصولية اليهودية والمسيحية والهندوسية تكره الحداثة والتنوير مثلها مثل الأصولية الإسلامية ولكن بدرجات متفاوتة أو طرائق مختلفة[٢]، ويعتقد بوجود عالمين متصارعين بالنسبة للبشرية: عالم الجهاد وعالم ماك، الجهاد هنا نطوي على عملية إعادة القبلية للعالم، وأن يُصبح عالماً يسوده زيادة مفرطة في الأصوليات والقوميات العرقية التي هي نقيض حقوق الإنسان والديمقراطية والحوار المفتوح[٣]، وهو ما يطلق عليه باربر مُصطلح "لبننة العالم" أي أن تُصبح هناك حالة في داخل الدول القومية: "الثقافة فيها ضد الثقافة وأناس ضد أناس وقبيلة ضد قبيلة"[٤] فقوى الجهاد هي "رِدة إلى عصور ما قبل الحداثة: أي محاولة لاستعادة عالم كان قائماً قبل الرأسمالية العالمية وكانت تحدد معالمة الغوامض الدينية، والمجتمعات الكهنوتية ، والتقاليد الفتانة، والكسل التاريخي"[٥] ولا نعتقد بوجود جهاد حقيقي إسلامي أو غيرهُ اليوم، سوف تتخلى بعض الجماعات الجهادية عن كثر من شعاراتها مقابل صفقات سياسية مبرمة!!

١- استاذ العلوم السياسية في جامعة نيويورك، وأحد المثقفين المقربين من الرئيس بيل كلنتون، ينتمي إلى الجناح المستنير من المثقفين الأمريكيين (هاشم صالح).

٢- د. هاشم صالح، مرجع سابق، ص١٠٨.

٣- بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ترجمة: طلعت الشايب، القاهرة، سلسلة المركز القومي للترجمة، ٢٠١١، ص١٧٩.

٤- المرجع نفسه، ص١٧٩-١٨٠.

٥- بنجامين باربر، عالم ماك المواجهة بين التأقلم والعولمة، ترجمة: أحمد محمود، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سلسلة المجلس الأعلى للترجمة "٤٢"، ١٩٩٩، ص١٨٥.

وبالتالي فالجهاد ليس لهُ هدف محدد فهو يضاد كل من يغاير طروحاته، فالديمقراطية مثلاً تتعرض لهجوم ثنائي تشنها عليها رأسمالية كونية قوتها الأساسية التي تحركها هي العدمية حيث تدمر كل القيم التقليدية في سبيل تحقيق الربح، بغض النظر عن الثمن الذي يدفعه الدين والأخلاق والقيم النبيلة، أما فيما يخص البيئة الإسلامية، فالإسلام دين مُركَّب ليس مرادفاً للجهاد بحال من الأحوال فهو من الناحية النسبية لا يرحب بالديمقراطية وعدم الترحيب هذا يهيئ الظروف الملائمة للإقليمية ومعادة الحداثة والانغلاق والاستبعاد ومعادة الأخرين وهذه هي السمات التي تشكل الجهاد[١]، فيما يجدر بنا أن ننظر للحداثة وليس فقط للجهاد، أن ننقد حيثيات الحداثة لا فقط حثيات الجهاد والمقاومة والمُمانعة، فلماذا نجاهد كمسلمين أمر ناقشهُ الجميع وتناوله واصبحت الأبحاث مكتظة بوفرة عن هذا المفهوم، الجهاد مفهوم ديني إسلامي مرتبط بممانعة ورفض المخالف للواقع والمعيب والمهين للشريعة والقيم والعادات والتقاليد النبيلة، مع أن المجاهدين اليوم لا يشكلون نسبة تحتذى بها من المسلمين ولا يحضون بإجماع الأمة الإسلامية، فأن يبدو نُقاد الحداثة داخل البيئة الأوروبية هم أقل من قلة، أو ناقدين من أجل تقويم سلبياتها وليس من أجل استقامة إيجابياتها، أي هو نقدٌ بناء للحداثة الغربية مثل المدرسة الفرنسية التي اتهمها يورجن هابرماس بالإفراط بمكتسبات الثورة الفرنسية، فالجهاد برأي باربر هو الحديث بشكل عام عن المعارضة الأصولية للحداثة الموجودة في معظم الأديان[٢] وليس حركاً على الإسلام، وهو بذا يُنصف مفهوم الجهاد بتعميمه للجميع دون استثناء ويُنصف الإسلام فجميع الأصوليات الدينية تقاتل، تجاهد، تحارب من أجل مفهوم ديني مُحض، وبالتالي هو الأخر يُصنف الجهاد كسيّاق عام مُعتبر لكل الأديان.

فيما بات العالم اليوم عالم صراع دامي بين عالمين ليس بالضرورة أن يكون مُقسم بجغرافيا فاصلة لمنطقة مثلما أشار إليه بنجامين باربر والذي أسماه صراع بين

١- المرجع نفسه، ص٢٤١.

٢- المرّجع نفسه، ص٢٤١.

عالم الجهاد وعالم ماك[١] أو عالم الإلحاد بتعبير الحركات الإسلامية[٢] بتقسيمهُ إلى ديار كفر وإيمان، فلا الجهاد محصور في بيئة إسلامية مُحضة، ولا عالم ماك مختصر بأوروبا لوحدها، التداخل واضح لم تعد هناك فواصل أو حدود، العولمة والجهاد هنا يتقاربان إلى حد ما يوجد من الشبه ما يُثير الدهشة ويُلفت النظر، القواسم المشتركة بين العولمة والجهاد فوق ما يتصور العقل البشري، كلاهما يتوافقان على تجاوز سيادة الأوطان، إلغاء الحدود السياسية المُرّسمة، يتجاوزان مفهوم القومية ويتحايلان على الوطنية، والأكثر تقارب أنهما يهتكان حُرمة الإنسان وكرامتهِ، العولمة تُفضل المادة على الإنسان، والجهاد يهين تلك الإنسانية بالقتال والموت (الانتحار/الاستشهاد)، ولا ننسى الأشد وطئه من ذلك كُله إن العولمة والجهاد يركزان على مفهوم الفرد دون الجماعة، الليبرالية الفردية حاضرة وبقوة في مسيرة الحركات الأصولية الجهادية (البروتستانتية والسلفية الجهادية) أسميناها "الليبرالية الجهادية" بحكم تحرر الفرد المسلم دينياً بدون قيود "فردية دينية"، أن العلة هنا ليس في العولمة كما ليس في الجهاد، وإنما في الانحرافات التي تعرضا لها كمفاهيم وعملية سرّقة قيمهما واقترانها بمسميات دخيلةٍ عليها، كالرأسمالية، التغرّيب، الإمبريالية، أو المقدس، والجنة والأخرويات.

١- للمزيد راجع: بنجامين باربر، عالم ماك المواجهة بين التأقلم والعولمة، مرجع سابق.

٢- جيل كيبيل، مرجع سابق، ص١٠٣.

الخاتمة

يتضح مما تقدم إن مفهوم الجهاد في الفكر الإسلامي واحد من أبزر الإشكاليات التي طرأت على الساحة، والذي أخذ يتصاعد اهتمامه بعد صعود موجة الأصوليات الدينية بالتناغم مع ظهور العولمة الغربية التي وفرت خطوط شبكات لتسهيل التواصل مع العالم الأخر، ليُظهر الجهاد بسياق عولمي جديد غير مألوف، ترتب على هذه التطور ظهور ساحات للقتال في مناطق متبدلة من العالم، واستعمال نصوص الجهاد في تأويلات واجتهادات بشرية قد لا تكون مناسبة مع وضع الهدف المراد منهُ، فلم يعد من الممكن قياس غزوات الإسلام الاول مع الأعمال الإرهابية التي تقوم بها السلفية الجهادية وعصابات داعش اليوم التي أساءت في استخدام مفهوم الجهاد، كانت السلفية الجهادية وبفضل العولمة المنعطف التاريخي الكبير الذي تلاعب بأسس الجهاد، ووظفه من أجل مصالح شخصية ومرام محصورة بإيديولوجية ضيقة التفكير، تبدل فيها مفهوم الجهاد وتنوعت استخداماته، أخطر حالات تبدل مفهوم الجهاد في الإسلام والفكر الإسلامي على يد ما يُسمى بـ "السلفية الجهادية"، وتنظيم "داعش" هو الجهاد ضد المسلمين، واستخدامه في حروب داخلية وطائفية، قست فيه السلفية الراديكالية العالم إلى قسمين، "دار الإيمان"، و"دار الكفر"، ثم قسمت العدو إلى قسمين: "العدو القريب" (الانظمة العربية الحاكمة والشعوب الإسلامية)، "العدو البعيد" (الولايات المتحدة واليهود وحلفائهم)، فركزت باستغلالها لمفهوم الجهاد على محاربة الأنظمة العربية الحاكمة والشعوب الإسلامية وما وصل إليه المآل، من دمار وخراب وهدم للآثار وكبريات المساجد الكبرى في العراق وسوريا، كانت داعش قد طورت مفهوم الجهاد إلى الإرهاب والتطرف والفوضى بجهود العولمة الغربية وشبكة الاتصالات والتواصل الاجتماعي التي أعطها لها زخماً عالمياً في إرهابها ضد المسلمين والعالم.

فيما نؤكد على غياب أية إجماع اسلامي اليوم حول المجاهدة بالطرح الأصولي، كما لم تتوفر شروط الجهاد الموضوعية، الأمر الذي يجعلنا نواجه حقيقة قائمة في الفكر الإسلامي المعاصر في ظل هيمنة العولمة الرأسمالية بكل ما أُوتيت من تحدّي للأديان، وغالباً ما أصبحت الشعوب الإسلامية هي الهدف من الجهاد، استهدافاً سياسياً وإيديولوجيا.

قائمة المصادر

*** القرآن الكريم والسنة النبوية**

أولاً: المصادر باللغة العربية

١- المعاجم والقواميس

- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج٢، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٤).
- د. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، الباب جيم، ط٦، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥).

٢- الكتب

- إبراهيم نافع، جنون الخطر الأخضر وحملة تشوّيه الإسلام، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ٢٠٠٤).
- ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق): علي بن محمد العمران، الرياض: دار الفوائد، د. ت).
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج٦، بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٩).
- السيد ولد أباه، عالم ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الإشكاليات الفكرية والاستراتيجية، بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٤).
- انجمار كارلسون، الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة، ترجمة: سمير بوتاني، القاهرة: الشروق الدولية، ٢٠٠٣).

- أوليفييه روا، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة: نصير مروّة، ط٢، بيروت: دار الساقي، ٢٠١٦).
- أوليفييه روا، عولمة الإسلام، ترجمة: لارا معروف، بيروت: الساقي، ٢٠٠٣).
- برنارد لويس، أزمة الإسلام: الحرب الأقدس والإرهاب المدنس، ترجمة: حازم مالك محسن، دمشق: صفحات للنشر، ٢٠١٣).
- برنارد لويس، لغة الإسلام السياسي، ترجمة: عبد الكريم محفوض، تقديم: د. طيب تيزيني، دمشق: دار جفرا للنشر، ٢٠٠١).
- بنجامين باربر، عالم ماك المواجهة بين التأقلم والعولمة، ترجمة: أحمد محمود، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة: سلسلة المجلس الأعلى للترجمة "٤٢"، ١٩٩٩).
- بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ترجمة: طلعت الشايب، القاهرة: سلسلة المركز القومي للترجمة، ٢٠١١).
- جراهام إي. فوللر، وإيان أو. ليسر، الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة، القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٧).
- جورج م. مارسدن، كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والايفانجلكية، ترجمة: نشأت جعفر، ط٣، القاهرة: الشروق الدولية للنشر، ٢٠٠٤).
- جون ل. إسبوسيتو، التهديد الإسلامي: أسطورة أم حقيقة، القاهرة: مركز المعلومات والدراسات، ١٩٩٥).
- جيل كيبيل، الفتنة حُروب في ديار المسلمين، ترجمة: نزار أورفلي، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٤).
- حُسني أدهم جرار، الجهاد الإسلامي المعاصر: فقهه، حركاته، أعلامه، عمان: دار البشير للنشر، ١٩٩٤).

- روجيه غارودي، الاصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، تعريب: خليل أحمد خليل، باريس: دار عام الفين، ٢٠٠٠).
- ريتشارد هرير ديكجميان، الأصولية في العالم العربي، تعريب: عبد الوارث سعيد، القاهرة: دار الوفاء للنشر، ١٩٨٩).
- سيّد قطب، السلام العالمي والإسلام، ط١٤، القاهرة: دار الشروق للنشر، ٢٠٠٦).
- صموئيل هنتنغتون، الإسلام والغرب: أفاق الصدام، ترجمة: مجدي شرشر، القاهرة: مدبولي، ١٩٩٥).
- عبد الحليم محمود، الجهاد في الإسلام، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨).
- علاء الدين الكاساني، بدائل الصنائع في ترتيب الشرائع، الجزء السابع، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٢).
- كارن آرمسترونغ، حقول الدّم: الدين وتاريخ العنف، ترجمة: فاطمة نصر، القاهرة: دار سطور للنشر، ٢٠١٦).
- مجموعة مؤلفين، مستقبل الإسلام السياسي: وجهات نظر أمريكية، إعداد: د. أحمد يوسف، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١).
- محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، ط٥، بيروت: دار الانتشار العربي، ٢٠٠٤).
- محمد شامه، لا لتطوير الخطاب الديني، القاهرة: وهبة للنشر، ٢٠٠٥).
- محمد عبد السلام فرج، الفريضة الغائبة، القاهرة: د. د، ١٩٨١).
- محمد فتح الله كولن، روح الجهاد وحقيقتهُ في الإسلام، ترجمة: احسان قاسم الصالحي، ط٥، القاهرة: دار النيل، ٢٠٠٨).
- محمود محمد أحمد، تطور مفهوم الجهاد دراسة في الفكر الإسلامي، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٥).

- مراد وهبة، الأصولية والعلمانية ، سلسلة قضايا الفكر (١)، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٥).
- هاشم صالح، معضلة الأصولية الإسلامية، ط٢، بيروت: دار الطليعة للنشر، ٢٠٠٨).
- وجاهة علي إيلي وآخرون)، التخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا): جذور شبكة التخوف من الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية، واشنطن: المركز التقدمي الأمريكي، ٢٠١١).

٣- البحوث:

- صابر مولاي عبد الصمد، "مفهوم الجهاد في القرآن الكريم"، في: الجهاد، الشهادة، الشهيد، ملف بحثي)، المغرب، مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٥/١١/١٤.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

- The Shorter Oxford English Dictionary , Oxford: Claredon Press. 1955 .

المـلخـص:

تتلخص جوهر فكرة عنوان بحث (الجهاد في عالم متعوّلم) في وجود علاقة خفية بين مفهوم الجهاد في سبيل الله وخوض الحروب المقدسة وبين العولمة الغربية الرأسمالية في عالم ماك وخصمه، فكيف اتفقت وتحالفت الأديان السماوية (قيم عقيدية طهورية) مع العولمة الغربية (قيم سياسية انحطاطية)؟، يبدو كأنهُ تحالف مقدس مع مدنس، تجلت صورتهِ في بروز ما يُسمى بـ "الأصوليات الدينية"، هنا سوف تظهر مشكلتنا البحثية هي أن هناك جدل بين الجهاد في سبيل الله وبين دور العولمة الرأسمالية، خصوصاً في تحالف الأخيرة مع الأصولية الدينية، التي اختصرت الأديان بأصوليات دينية مُحرفة منزوعة الإيمان دسمة التكفير!! فيما جاء سؤالنا البحثي في ما هي علاقة الجهاد بالعولمة الغربية، وهل هو جهاد ديني أم أصولي محض، وستتفرع عنهُ أسئلة فرعية أخرى.

أما منهجنا البحثي سيعتمد على منهج اقتراب الثقافة السياسية لدراسة المجتمعات والثقافات والاختلافات بين الشعوب، ومنهج التحليل الوصفي والنقدي لوصف ونقد ظاهرة الجهاد العولمي. وتحدد الهيكلية فشملت مواضيع عده منها: (مقدمة، الجهاد والقتال، جهاد متعوّلم، الجهاد في الإسلام، الأصولية الإسلامية الراديكالية: السلفية الجهادية، آيات السيف والقتال، تطور مفهوم الجهاد، الجهاد الأصولي، جهاد ضد ماك الجديد، العولمة والجهاد، الخاتمة)

والنتيجة ليس هناك اليوم جهاد في سبيل الله، بل هناك جهاد متعولم، جهاد عولمي، طالما أصبحت الأصوليات الدينية في الديانات الثلاث: المسيحية، اليهودية، الإسلام، تتصدر الواجهة السياسية والدينية للأم والدول والشعوب، والنتيجة فلا يمكن اعتبار الجهاد في أغلب دول العالم على انها حروب مقدسة، في فلسطين، العراق، سوريا، ليبيا، اليمن، هي مجرد حروب بين عالم ماك ضد ماك، وليس ضد عالم الجهاد، حروب مدنسة من أجل مصالح ومطامع دنيوية بحتة، فالذي يقاتل الكفار لا يمكنهُ قتالهم بدون دعمهم بالسلاح والذخير والتقنية الاتصالية من جانب، وإن الجهاد الإسلامي لم يكن ند وخصم معلن ضد ماك والماكدونالدية واستعمار الكوكاكولا وعالم والت ديزني، وهذا هو موضع التشكيك علاوة على النتائج التي خلفها الجهاد في سيل الله في مناطق العالم العربي والإسلامي.

ABSTRACT :

The essence of the idea of the title of research "Jihad in a Globalized World" is that there is a hidden relationship between the concept of jihad in the name of God and the struggle against holy wars and the Western capitalist globalization in the world of Mac and its adversary.

How did the heavenly religions, It seems like a holy alliance with Maddens, reflected in the emergence of the so-called "religious fundamentalism," here will show our research problem is that there is a debate between jihad for God and the role of capitalist globalization, especially in the alliance of the latter with religious fundamentalism, The religions were shortened with religious fundamentalisms that were deformed to Takfir!!

Our research question is: What is the relation between Jihad and Western globalization, and whether it is a purely religious or fundamentalist jihad, and other sub-questions will be derived from it.

Our research methodology will depend on the approach of political culture to study societies, cultures and differences among peoples, and the methodology of descriptive and critical analysis to describe and criticize the phenomenon of global jihad. Islamic Jihad, Radical Islamic Fundamentalism: Jihadist Salafism, Sword of War and Sword, Evolution of the Concept of Jihad, Islamic Jihad, Jihad against the New Mac, Globalization and Jihad, Conclusion.

As long as the religious fundamentalists in the three religions: Christianity, Judaism, Islam, are at the forefront of the political and religious façade of the mother, nations and peoples, the result is that jihad can not be considered in most countries of the world. They are holy wars in Palestine, Iraq, Syria, Libya, Yemen. They are just wars between the world of Mac and Mac, not against the world of jihad, holy wars for purely worldly interests and ambitions. Those who fight infidels can not fight them without their support with weapons, On the one hand, Islamic Jihad was not an end and a discount .